

أنا وأنت على الطريق أهي الشريكة أم الأنثى

قال أحد الأزواج معترفاً : تزوجت منذ خمس سنوات. كانت ثلاث سنوات منها هي أتعس سني حياتي لأنني أنكرت على زوجتي أن تعيش معي كإنسان. وعندما عرفت فكر الله تجاه الإنسان رجلاً وامرأة، وقصد الله من الزواج ، استقامت أمور حياتي واستقامت علاقتي بزوجتي. وأستطيع أن أقول الآن: إنني عندما تزوجت كان فكري أنني تزوجت أنثى، ترعى شؤوني وتهتم بي، ولكني الآن زوج لامرأة هي شريكة لحياتي.

ذكرتني اعترافات هذا الزوج بقصة حقيقية أخبرنا بها أحد أطباء الأسنان عندما كان يمارس مهنته فور تخرجه في إحدى القرى بعيداً عن المدينة. قال لنا: جاء أحد الأزواج بزوجته ودفعها إلى الكرسي لكي أفحص السن الذي يؤلمها والذي بسببه لم ينام الليل كله. وقال لي: اكتشف على هذه الأنثى وقل لي ما بها؟ وكان يعاملها بقسوة واضحة. نعم، ولا يزال يلقب البعض زوجاتهم بالأنثى... وكان لديه رأس غنم، أو رأس معزى أو بقر.. لكم حزت في نفسي هذه القصة الحقيقية التي شاركنا بها صديقنا طبيب الأسنان. ولكم حز في نفسي اعتراف ذلك الزوج الذي قال بأنه ظن أنه تزوج أنثى. لكن الله بين له فيما بعد أنه تزوج بشريكة حياة.

نعم يا سيدتي المستمعة، هذه أمثلة من واقع الحياة الذي نعيشه في بلداننا التي طغى عليها المفهوم الذكوري في كل مناحي الحياة. على الرغم من أن حال النساء قد تحسنت وتقدمت وتخطت الكثير من العقبات الاجتماعية. إلا أنها لا تزال تعتبر الأدنى والأضعف والأقل نكاه في المناطق الداخلية البعيدة عن تقدم المدن والحضارة. فلماذا هذه الاعتبارات التي تتناقل جيلاً بعد جيل يا ترى؟

دعينا سيدتي أولاً نعود معاً إلى ما يعلمه الله سبحانه وتعالى بحسب ما جاء في الكتاب المقدس الذي هو كلمته الحية والموحى بها لرجال الأنبياء. إذ يتبين لنا أن الله لم يخلق المرأة لتكون أنثى للرجل بل خلقها لكي تكون شريكة حياة لآدم. إذ يقول الكتاب المقدس عن قصة الخلق بأن الله جبل آدم تراباً من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية. وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها.... وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره... فأوقع الرب الإله سبباً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت.... ويقول أيضاً وخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم.

نرى من هذا المقطع يا سيدتي أن الله سبحانه وتعالى خلق المرأة وأتى بها لآدم قائلاً عنها معينا نظيره. وعاشا كلاهما في جنة عدن ولم يكن هناك تنافس على القيادة ولا مطالبة بالحقوق أو غيره. وبقياً هكذا حتى دخلت الخطية إلى العالم عن طريق العصيان. وهنا انهارت العلاقة الحميمة بين آدم وحواء وتغير مجرى حياة كل منهما منذ ذلك الحين. إذن تغير مفهوم النظير والمساوي إلى مفهوم آخر بعد أن دخلت الخطية إلى حياة الإنسان. وهكذا عولمت المرأة في القديم بصور متعددة منها بأنها أقل رتبة أو أقل درجة من الرجل وذلك من خلال المثل الذي ورد في سفر التكوين عن قصة ابراهيم الخليل وكيف طلب من زوجته سارة أن تقول عن نفسها بأنها أخته عندما ذهب إلى مصر بسبب الجوع الحاصل في أرض كنعان آنذاك. وخاف ابراهيم على زوجته لأنها جميلة. فقال لها سيقتلونني ويستبقونك. وهذا ما كان سيحصل إذ عرف فرعون بجمالها وأراد ضمها إلى حريمه. لكن الله ضربه ضربات عظيمة. وبهذا جعلت سارة عرضة لتضم إلى حريم رجال آخرين.

ومقابل هذه الصورة نرى صورة أخرى وهي كيف أن الله استخدم المرأة في القديم وباركها بطرق ومواقف متنوعة. فيصف لنا الكتاب المقدس دبورة بأنها كانت قاضية ونبية في آن واحد. فلقد كانت تقضي بين الشعب من الصباح حتى المساء وهي مقيدة تحت الشجرة. وماذا عن موقف الرب يسوع المسيح الفادي والمخلص من المرأة يا ترى؟ الفادي الذي أتى لكي يرد كل شيء إلى ما كان عليه سابقاً. فنراه وعلى عكس الشرائع اليهودية التي جعلت المرأة مستعبدة ومحكومة ، نراه يدعُ مريم أخت لعازر الجلوس عند رجليه لكي تتعلم منه الحقائق الروحية. وقال عنها: أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها.

وفي حادثة أخرى نجد يسوع يمدح إيمان المرأة نازفة الدم التي مست هذب ثوبه لكي تتال الشفاء. إذ قال لها إيمانك قد شفاك اذهبي بسلام. حتى المرأة الساقطة التي أمسكها رؤساء الدين اليهود في ذات الفعل وأتوا بها إليه لكي ترحم. أما يسوع المسيح فجدده يقول لهم: من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر. فحجّلوا وانصرفوا. إذن ، إن موقف يسوع المسيح من المرأة لا يختلف عن موقفه من الرجل البتة. بل يقول بولس الرسول أحد رسل المسيحية الأوائل بأنه لم يعد هناك فرق: "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع."

أتعلمين يا سيدتي أن الرجل اليهودي كان يبدأ يومه بهذه الصلاة: أشكرك يا رب لأنني لست أممياً أو عبداً أو امرأة. وهذه صلاة يجب ألا تقال الآن. لأن الإيمان بيسوع المسيح المخلص قد سما فوق كل هذه الفوارق. ويجعل المؤمنين واحداً في المسيح. فهلا

عرفت الفرق الآن يا سيدتي؟ وهلا أدركت مركزك في شخص المسيح؟ لا داعي لأن تقلقي وتزعجي من معاملة البعض أو من نظرة البعض، لأن يسوع المسيح هو الوحيد الذي ينظر إليك نظرة مساوية لك كما للرجل. والأهم من هذا وذاك هو أن تتظري أنت إليه بعين الإيمان وتتالي غفرانه عن خطاياك. فهل تؤمنين به؟
